المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الخطاب الوصفي أنماطه ووظائفه في رواية "جرما الترجمان"لمحمد حسن علوان

Descriptive discourse, its patterns and functions in the novel "Germa Al-Turjuman" By Muhammad Hassan Alwan

بقلم الدكتور

سالم بن محمد بن سالم الضمادي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية
بكلية الآداب والفنون بجامعة حائل ـ المملكة العربية السعودية

الجزء الخامس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب الوصفي أنماطه ووظائفه في رواية "جرما الترجمان" لمحمد حسن علوان

سالم بن محمد بن سالم الضمادي

قسم الأدب والنقد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والفنون بجامعة حائل ـ المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : salem9355@hotmail.com

الملخص

الرواية أداة فاعلة لنقل الأفكار والمعاني والصور والأحداث، عبر تقنيات السرد، ويعد الوصف أحد ركائزها، ووسيلة مهمة في نمو النص الإبداعي.

وتسعى الدراسة إلى إبراز الوقوف على أنماط السرد ووظائفه في رواية" جرما الترجمان "، لمحمد حسن علوان، وقد اتخذ منها الكاتب وسيلة للوقوف على حقبة تاريخية مهمة حدث فيها تحول في مجريات الأحداث، وإبراز وجه الصراع على السلطة، وكان الوصف فيه الرواية تقنية فاعلة ضمن الوسائل البنائية الأخرى في الرواية، مستعينا في ذلك باللغة، وتبرز قيمة الوصف من خلال موقعه وانتظامه داخل الراوية.

ويقوم البحث بتناول أوصاف (الأفعال والأقوال والرؤية)، والكشف عن الوظائف المتعددة، كالإخبار، والتفسير والتزيين، وبيان قدرة الكاتب على توظيف الوصف بصوره المختلفة في الرواية، والتحول بها من دائرة التحسين والتجميل إلى عنصر رئيس وفاعل انطلاقا من ابعد اللغوي والزمني. متخذا المنهج التحليلي طريقا للوصول إلى الغاية المنشودة.

الكلمات المفتاحية: السرد ، الوصف ، الوظيفة ، النمط ، اللغة .

Descriptive discourse, its patterns and functions in the novel "Germa Al-Turjuman"By Muhammad Hassan Alwan

Salem bin Mohammed bin Salem Al-Dhamadi

Department of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Literature and Arts, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: salem9355@hotmail.com

Abstract

The novel is an effective tool for conveying ideas, meanings, images and events, through narration techniques, and description is one of its pillars, and an important means for the growth of the creative text.

The study seeks to highlight the narration patterns and its functions in the novel "Jarma al-Turjuman" by Muhammad Hassan Alwan. The other structural means in the novel, using the language, and the value of the description emerges through its location and regularity within the narrator.

The research deals with the descriptions of (actions, sayings, and vision), and reveals the multiple functions, such as informing, interpreting, and embellishing, and demonstrating the writer's ability to employ the description in its various forms in the novel, and transforming it from the circle of improvement and beautification into a major and active element, based on the linguistic and temporal dimension.Taking the analytical method as a way to reach the desired goal.

Keywords: narration, description, function, style, language.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تعد الرواية مجالا خصبا لنقل الأفكار والمعاني والصور والأحداث، وأداة لإيصال دلالات ظاهرة أو ضمنية للمتلقي، ويحتل الوصف فيها مكانة بارزة، وعنصرا مشتركا مع التقنيات السردية الأخرى، ووسيلة مهمة في إثراء النص الإبداعي، وإكسابه نموا حركيا، وبه يسلط الكاتب على بعض الجوانب، ولا يجد عنصرا آخر يقوم به غير الوصف.

ولا شك أن اللغة هي الوسيلة الرئيسة في العمل الإبداعي، وبها يبلغ الأديب رسالته للمتلقي، وتتنوع مقاييس الأدب بحسب لونه وجنسه.

وقد اهتم الأدب في العصر الحديث بالرواية لكونها أكثر انتشارا، وتحظى بعينة كبيرة من القراء، وهي محل اهتمام النقاد. وتتنوع لغة الكتابة في الرواية العربية بحسب الكاتب وخصوصية العمل وطبيعة الأبنية اللغوية، فاللغة في الرواية تقوم على نظم مختلفة وينظر إليها من عدة زوايا كالسرد والحوار والوصف، وكل منها له طبيعة بنائية، وستقوم درستنا على الوصف باعتباره أداة لتسجيل الأحداث والأفعال التي تعمل على إثراء العمل الروائي، وقد اخترنا رواية "جرما الترجمان" كمدونة لهذه الدراسة، انطلاقا من كون الرواية تركز على المسرد التاريخي لحقبة زمنية مهمة.

أما المدونة التي يقوم عليها البحث "جرما الترجمان" فيشيع فيها الوصف بصوره وأنماطه المختلفة، وله دور أساس في بنائها السردي، وتبرز قيمة الوصف من خلال موقعه وانتظامه داخل الراوية، وحضوره المتنوع بين الثبات والحركة، وخضوعه لمهارة الكاتب في رسم الأحداث في مخيلته من خلال وعيه الحضاري والثقافي واللغوي، والرواية تركز على الجانب التاريخي، والتنقل بين الأماكن المختلفة، وبين أوجه الصراع على السلطة، وتتبع السارد للتحولات، وتفعيل الدلالات بداخلها.

ويقوم البحث على تناول الأحداث (الأفعال والأقوال والرؤية)، والشخصيات الموصوفة ووعي الكاتب بخصائص الموصوفات، والقدرة على دلالات الوصف، وكشفه عن الوظائف المتعددة، كالوظيفة الإخبارية التي تعنى بتقديم معارف متنوعة للقارئ، والوظيفة التصويرية أو التمثيلية التي تعنى بتقديم المشهد من خلال دقائقه وتفاصيله واكتسائه بمسحة فنية للشخصيات والأماكن، والوظيفة الجمالية التي تصبغ النص بصبغة جمالية ومنحى أدبيا.

ونجد براعة الكاتب في تنويع صور الوصف وتجاوبه مع السرد بصورة إبداعية فنجده تارة يقدم رؤيته الخاصة، وتارة نراه حياديا ينقل الأحداث بلا تدخل مكتفيا بالسرد.

وتتنوع الوظائف بين الإخبار ونقل المعارف بشكل عام، وتارة يعتمد على التصوير الجمالي رغبة منه في جذب القارئ لمتابعة العمل، أو يعتمد على التفصيل في وصف الصور الجسمية والطبائع الشخصية، والقناعات الفكرية لدى الشخصيات، أو تتبع حركات التحول والانتقال.

أهمية الدراسة:

اتخذ الكاتب الجانب التاريخي أداة لروايته، حيث ركز فيها بالصراع على السلطة، وتمسك كل فرد بها، والحرص عليها، وبذل الغالي والنفيس من أجل الحصول عليها، وإقصاء الآخر عنها.

وترجع أهمية الدراسة إلى عدة جوانب:

_ عدم اهتمام الدراسين بالرواية –محل الدراسة– بأي جانب من جوانب البحث رغم جاهزيتها لذلك.

_ بيان قيمة الوصف في الرواية، وأثره في سير الأحداث، وعدم اقتصاره على التزيين والتحسين.

_ تنوع صور الوصف وأنماطه ووظائفه.

_ قدرة الكاتب على توظيف التاريخ، ومزج الأوصاف بالأحداث.

_ تركيز الكاتب على وصف الأحداث مع بعض الإضاءات في وصف الزمان والمكان والشخصيات مما يخدم فكرته الأولى.

_ تمكن الكاتب من إبراز الجوانب النفسية للشخصيات، وتأثرها بسير الأحداث.

أسباب اختيار المدونة:

تتنوع تقنيات السرد في الرواية بين المكان والزمان والأحداث والشخصيات، ويلاحظ أن رواية محمد حسن العلوان "جرما الترجمان" تركز على وصف الأحداث، مع عناصر البناء الأخرى، وقد اتخذ الكاتب الصراع على السلطة هدفا رئيسا بنى عليه أحداث روايته.

_ طرافة فكرة الرواية، وتركيز الكاتب على إبرازها من أول الرواية إلى آخرها، وهي الصراع على السلطة، والانتقال عبر المسافات البعيدة للرسم الخطط من أجل الوصول لهدف المنشود.

_ قدرة الكاتب على توظيف الوصف بصوره المختلفة في داخل الرواية، وعدم اقتصاره على التجميل والتزيين حتى لا يفقد البعد الدلالي.

_ الوقوف على مدى براعة الكاتب في الربط بين العنوان والمتن، والتناسب بينهما.

_ تمكن الكاتب من الوصف بأنماطه المختلفة، والقدرة على توظيفه في إطار تقنية السرد المتنوع.

_ تنوع الوصف بين الثابت والمتحرك وإن بدا الثاني أكثر ورودا بما يتناسب مع الرواية التاريخية، والتحولات الزمانية والمكانية.

_ قلة الاهتمام بالوصف في الرواية العربية، والتركيز على الجانب النظري.

_ تداخل الأوصاف المختلفة: الأحداث والأشياء والشخصيات في المقام الواحد، ومدى نجاح الكاتب في توظيف كل منها.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة –فيما أعلم– تناولت الرواية من زاوية النقد، أو تتبعت الخطاب الوصفي أنماطه ووظائفه. وهناك دراسات تناولت الرواية من زوايا، ومنها:

الصورة السردية في رواية جرما الترجمان: دراسة في السارد وتجليات قلق الوجود، أمينة بنت عبد الرحمن الجبرين، مجلة الآداب بجامعة ذامار باليمن، ع١٠ سنة ٢٠٢١م.

سيرورة السرد في الخطاب الروائي العربي: جرما الترجمان – أنموذجا، أروى محمد أحمد مجلة دار العلوم بالقاهرة، ع١٣٨، سنة ٢٠٢٢م.

جرما الترجمان" رواية العلاقة الملتبسة بين جرمانوس المسيحي وجم العثماني، مجلة الاندبنت العربية٢٠١٢/٣/٣١م.

جرما الترجمان جماليات الحياة المتقلبة والعيش على التخوم، محمد سليم شوشة، موقع نزوى ٢٥ يونيو ٢٠٢٢م.

ـ جرما الترجمان» أزمات الثقافة وتجاذبات السياسة لسعد البازعي، جريدة الشرق الأوسط. منشور في ٢٨ أغسطس ٢٠٢٢م.

وكلها دراسات يفيد منها البحث لكنها لا تلتقي مع دراستي.

أهداف الدراسة:

تقوم الدراسة على عدة أهداف:

_ إبراز أنماط الوصف، ووظائفه ودلالاته المختلفة انطلاقا من مقصد الكاتب.

_ بيان الأوصاف التي ركز عليها الكاتب لجريان أحداث الرواية وإنمائها.

_ الكشف عن الجوانب النفسية لأشخاص الرواية، وتلاحمها مع البنى السردية الأخرى.

_ تتبع صور الوصف التي اندمجت مع السرد، فأثرت الرواية، وكستها بالخصوصية.

ـــ مدى تمكن الكاتب من تقنيات الوصف المباشر وغير المباشر.

ويقوم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الوصف في العمل الروائي

المبحث الثاني: أنماط الوصف

المبحث الثالث: وظائف الوصف

الخاتمة، وأهم المصادر والمراجع

موجز الرواية:

في "جرما الترجمان"، يصنع محمد حسن علوان[١] سيرة لشخصين هامشيين، ارتبطت حياة أحدهما بحياة الآخر، مصادفة الأول شاب مسيحي من حلب يدعى "جرمانوس"، بات باجتهاد شخصي ملما بعدد من اللغات.

والثاني هو الأمير "جم" الذي كان يرى أنه الأحق من أخيه بايزيد في حكم السلطنة العثمانية بعد وفاة والدهما السلطان محمد الفاتح.

تجري أحداث الرواية في أربع مدن هي: حلب وقبرص وفرنسا وإيطاليا في القرن الخامس عشر الميلادي، بعد نجاح الدولة العثمانية في استيلائها على القسطنطينية آخر معاقل المسلمين في الأندلس وانتهاء دولة المماليك في مصر، مما غير نظرة العالم إلى المشرق.

ويسجل التاريخ أن بايزيد واجه عصيان أخيه جم حين ادعى أنه أحق بخلافة والدهما محمد الفاتح في الحكم، واقتسم كل منهما البلاد التي فتحها الوالد:

---

(١) محمد حسن علوان روائي سعودي ولد في الرياض، عام ١٩٧٩. يحمل شهادة الدكتوراه في التسويق والتجارة الدولية من جامعة كارلتون الكندية. صدرت له خمس روايات: "سقف الكفاية" (٢٠٠٢)، "صوفيا" (٢٠٠٤)، "طوق الطهارة" (٢٠٠٧)، "القندس" (٢٠١١) و"موت صغير" (٢٠١٦)، بالإضافة إلى كتاب نظري بعنوان "الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه" (٢٠١٤). كتب مقالة أسبوعية لمدة ست سنوات في صحيفتي الوطن والشرق السعوديتين ونشرت له صحيفتا "تيويورك مامز" الأمريكية و"الجارديان" البريطانية مقالات وقصص قصيرة. عام ٢٠١٠، تم اختياره ضمن أفضل ٣٩ كاتب عربي تحت سن الأربعين، وأدرج اسمه في أنطولوجيا "بيروت ٣٩". عام ٢٠١٣، رشحت روايته "القندس" ضمن القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية وفي العام ٢٠١٥ حصلت النسخة الفرنسية لـ "القندس" على جائزة معهد العالم العربي في باريس كأفضل رواية عربية مترجمة للفرنسية عن العام. شارك علوان في أول "تدوة" (ورشة إبداع) التي نظمتها الجائزة العالمية للرواية العربية في العام ٢٠٠٩ وكان مدربا على الكتابة في ندوة العام ٢٠١٦.

فاختار "جم" البلاد الآسيوية، أما بايزيد فكانت الأوروبية من نصيبه، ورفض الأخير هذه القسمة، فحارب "جم" وأجبره على اللجوء للدولة المملوكية.

وقد عاد "جم" إلى الأناضول بعد ذلك رغبة في الجلوس على عرشها لكن خسر المعركة، ولم يعد أمامه سوى الهروب، وعاد للقاهرة وجلس فيها أربعة أشهر، ثم عقد "جم" العزم على الحج، وكان أول من حج من آل عثمان الذكور. ثم فكر "جم" في محاربة بايزيد، لكن "قايتباي" أن يثنيه عن السفر ولم يفلح.

تعلم "جرما" اللغات المختلفة كان "جرما" فأتقن السريانية، فضلا عن اللغة العربية والتركية، كما تعلم اللغة الفرنسية والإيطالية، حتى عمل بعد ذلك في الترجمة.

الرغبة في الحرية. تلقى "جرما" رسالة من والده بعدما أنهى سنوات العبودية الخمس، ثم حصوله على صك الحرية، وانخرط في سلك الرهبنة لشهور قليلة، ثم عاد إلى حلب فوجد والده قد ضاع ماله وهو الآن يبحث عن طريقة لاكتساب المال مرة أخرى فأشار على ابنه بالعمل مترجما عند الأمير "جم" ووافق جرما على هذا العرض، واصطحبه الأمير "جم" إلى قلعة في رودس.

المبحث الأول: الوصف في العمل الروائي

يعد الوصف أسلوبًا رئيسًا من أساليب الخطاب الروائي، وركن أساسي في سريان الأحداث ونموها فهو: "نشاط فني يمثل باللغة الأشياء والأشخاص والأمكنة وغيرها"(١). أي: "تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها، مكانيا لا زمانيا. وقد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف ليسهل على القارئ الفهم والمتابعة، أو يؤخر تحديده إلى نهاية الوصف لخلق الانتظار والتشويق"(٢). وهو: "أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين"(٣)، و"نهج في التعبير، يطابق نهجا في الإدراك، ويجسد سياقا في الوعي، مبعثه طبيعة النفس التي تعي ذاتها ومحيطها الطبيعي، وقوامه نقل المشاهد والأحداث والحالات، كما تنعكس في مرآة الذات الإنسانية، قولا أو كتابة"(٤).

وقد حظي الوصف باهتمام النقاد في العصر الحديث؛ وكشفوا عن دوره في العمل الإبداعي، وانتقاله من الوظيفة التزيينية إلى دور فاعل في تقنيات السرد؛ كما بينوا أنواعه وأنماطه ووظائفه، وأكدوا أن الوظائف تخلف بحسب الجنس الأدبي، وقدرة الكاتب على توظيفه.

لقد بات الوصف في الرواية الحديثة عنصرا مهما، وتعددت وظائفه وألوانه، حيث يضفي على العمل الإبداعي امتدادا وتفصيلا، وأصبح أداة لنقل

---

(١) معجم السرديات، د. محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٧٢.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٧١.

(٣) بناء الرواية، د. سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١١.

(٤) المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب د. ميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص١٣٠٦.

أهداف الكاتب وغايته، والقدرة على التنوع بين الواقع والخيال، والتركيز على بعض ألوان الوصف لما لها من دلالات ورموز.

أما عن مكانة الوصف في العمل الأدبي فقد استطاع الأدباء قديما أن يوظفوا الوصف، وأصبح أداة مهمة من أدوات الإنشاء الفني حيث يضفي على الإبداع آيات الاستحسان والإعجاب، وكان غالبا ما يقتصر على الزينة والتحسين، ولم يكن وراءه كبير معنى(١).

وأغلب الأعمال الأدبية تحتاج إلى الوصف بمستويات مختلفة، فقد يعمد الكاتب إلى التركيز على الزمان أو المكان أو الشخصيات؛ لما لها من دور في إثراء العمل الأدبي، والمنتج الإبداعي، بل يعد ضرورة من الضرورات سواء أكان شعرا أم نثرا؛ فهو إن لم يدع تفسير العالم؛ فإنه يشكل الأداة الأساسية لتمثيله، مؤديا بذلك أولى مهام الأدب وأكبرها(٢).

كما يعد الوصف ركيزة أساسية في العمل الروائي حيث يتحول الوصف من وسيلة إنشائية يهدف من ورائها المبدع استعراض معجمه البلاغي، إلى ركيزة أساسية في العمل الروائي؛ لها فاعلية الكبيرة في تشكيل الأحداث، والكشف عن أبعاد الشخصيات، ورسم المكانية والزمانية، ويعكس الكثير من الدلالات الفكرية والنفسية والاجتماعية التي تسبح في عوالم النص الروائي(٣).

وتظهر أهمية الوصف في العمل الروائي حيث يوجد الوصف في جل النصوص السردية وغيرها فهو في مجال الأدب السردي مشترك بين جل الأجناس

---

(١) ينظر: الوصف في النص السردي: بين النظرية والإجراء، د. محمد العمامي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م، ص١٧.

(٢) ينظر: في الوصفي، فيليب هامون، تعريب سعاد التريكي، بيت الحكمة، قرطاج، ط١، ٢٠٠٣م، ص٧.

(٣) ينظر: تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية، هيفاء الفريح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م، ص٩.

والأنواع، وقد يبلغ الوصف من الأهمية عندما يمكن من تقديم قصة في شكل صور أدبية أو حتى في شكل رسوم أو لوحات، وقد يؤدي ما لا يؤديه السرد حيث إنه أداة التمثيل الرئيسة، فهو الذي يمكن القارئ من أن يتابع ويشهد المجالس، وله قدرة على التمثيل، كما يسهم في التأثير على المتلقي، لكونه أداة تخييل وإيهام، فضلا عن أنه وسيلة لخدمة المعنى، وهذا ما يفهم من قول هامون إن الوصف صورة من صور الفكر تنشأ من خلال الإنشاء اللغوي، وبدل أن يشير الواصف إلى شيء ما مجرد إشارة، فإنه يمكن أن يجعل هذا الشيء مرئيا على نحو ما وذلك من خلال عرض حي ذي حركة(١).

كما تبرز أهمية الوصف في ترابط الأحداث وتسلسلها وتآزرها، وعن طريقه تلتحم كل العناصر المكونة للتركيبة الروائية، فالأوصاف في الرواية لا تصاغ لمجرد الوصف بل لأنها تساعد الحدث على التطور، لأنها في الواقع جزء من الحدث نفسه(٢).

فالوصف عنصر رئيس وضروري في العمل الروائي، حيث يلتحم السرد، فلا نستطيع أن نصف دون سرد؛ كما يصعب أن نحكي دون أن نصف، وهذا راجع إلى أن الأشياء يمكن أن توجد من دون حركة؛ على حين أن الحركة قد لا توجد دون أشياء(٣). أي: لا رواية من غير وصف، وليس من السهل علينا، كما يقول: "جيرار جينيت" أن نتصور وصفا خاليا من أي عنصر سردي؛ لأن كل إشارة إلى عناصر الحدث أو ظروفه يمكن أن تشكل بداية وصف له.

---

(١) ينظر: علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة، د. الصادق قسومة، سلسلة الرسائل الجامعية، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام، الرياض، ص٢٩٨.

(٢) ينظر: فن القصة القصيرة، د. رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ص١١٦.

(٣) ينظر: في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م، ص٢٥٠.

وغاية الوصف إعادة تكوين الوضع داخل السرد واستيعابه كسياق لغـــوي. فالأوضاع الخارجية التي يذكرها النص ينبغي أن تكون مفهومه لكي يصبح النص مفهوما[١]؛ ولهذا "فالوصف يجوز تصوره مستقلا عن السرد بيد أننا لا نكاد نلقاه أبدا في حالة مستقرة. إن السرد لا يقدر على تأسيس كيانه بدون وصف غير أن هذه التابعية لا تمنعه من أن يقوم باستمرار بالدور الأول، فليس الوصف في واقع الحال سوى خديم لازم للسرد، وهو فوق ذلك خاضع باستمرار ومستعبدا أبدا"[٢].

فكثير من الأعمال الأدبية تحتاج إلى الوصف بصورة من الصور، أو حتـــى بعض الإشارات؛ لتوضح أمرا ما، أو تظهر ملامح شخصية أو مكـــان أو زمـــان، فالوصف يشكل أداة أساسية في تمثيل العالم، مؤديـــا بـــذلك أولـــى مهـــام الأدب وأكبرها، ولا يمكن أن نحصل على سرد محض غير مرتبط بوصف[٣].

وبهذا بان لنا دور الوصف في داخل العمل الروائي، حيث يندمج مع السرد، ويقوم بتنمية الأحداث، ويكشف دلالات عدة منبثقة من الترابط بين مكونات العمل الروائي.

---

(١) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٧١.

(٢) طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت وآخرون، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢م، ص٧٦.

(٣) ينظر: الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، د. نداء أحمد مشعل، وزارة الثقافـــة، الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٥.

المبحث الثاني: أنماط الوصف

تتعدد طرق الوصف بحسب مقتضيات النص السردي، وتبرز براعة الكاتب في تنويع أنماطه حيث الفعل أو القول أو الرؤية، ويرى هامون أن لهذا الأسلوب المميز ثلاثة أدوار، أولا النظام الوصفي الذي يقوم على الطابع الاختياري، وظهور الوصف بشكل مطول، والثاني يقوم على الاختزال، والثالث ينبني على التوسط بينهما، وهذا يختلف من عمل إلى آخر، فكاتب يركز على القول، وحضور الذات، وآخر يركز على الأفعال، والأخير يكشف عن رؤيته.

أولا: الوصف عن طريق القول

يقوم على هذا النمط على الحكي والوصف من خلاله، وفيه يعنى بتوجيه القول إلى طرف آخر، لغايات وأهداف، وهذا النوع: "لا ترى الشخصية مشهدا، وإنما تتحدث إلى آخر أو أكثر عن مشهد"(١). ويقوم هذا النمط على عدة أسس:

أولا: الكفاية اللغوية للواصف، ثانيا: معرفته الكاملة بالموضوع المطروح، ثالثا: وجود طرفي التواصل (المرسل والمستقبل). فهناك قول يريد إيصاله للطرف الآخر، بعد امتلاك الوسائل اللغوية، في صورة أوصاف.

والكاتب محمد حسن علوان يقدم عن طريق القول وظائف متنوعة، عن طريق الحوار الموجه من السارد: "قال سيمون وهو يهش من ثوبه جرادة عالقة:

ــ لا بد أن السمرمر لم يصل بعد!

التفت إليه مستفهما فاستطر بحماسة:

ــ أرسل المسلمون وفدا من الصالحين إلى أصفهان ليجلبوا طائر السمرمر، لا يبدو أنهم قد عادوا بعد. أو أنهم عادوا ولم يعد معهم الطائر.

ــ ربما لا توافق. نعم. إنهم يسخرون منهم كثيرا، ولكن لعلمك لم يذهب المسلمون فقط. لقد رافقهم بعض المسيحيين

(١) الوصف في النص السردي: بين النظرية والإجراء، د. محمد العمامي، ص٧٤.

مسيحيون؟ وما الذي يذهب بهم؟

يهز سيمون كتفيه بلا دراية ويقول:

لا أدري! ربما ليختار الطائر الدين الذي يريد المهم أن يعود معهم ويأكل هذا الجراد اللعين"[١].

ويتجلى هذا المشهد معبرا عن مقصده: "أوقف الفارس حصان السلطان ...من حصانه"[٢].

ثانيا: الوصف عن طريق الفعل

يقوم هذا اللون من الوصف لبيان ما تقوم الشخصية من خلال الرغبة في الفعل، والقدرة على أدائه، بعد معرفة الفعل ثم الفعل ذاته (الوصف)، ويكثر هذا اللون في "جرما الترجمان"، يقول: "شعرت بعلو كعبي عليه، رغم أنه هو التركي القديم في خدمة السلطان، وأن الترجمان وأنا الترجمان المسيحي الذي دخل في خدمته منذ أشهر قليلة فقط، ها أنا أصحح له أخطاؤه وأثبت له إدراكي العميق لطبيعة الظروف التي تحيط بسلطاننا هنا في رودوس، فقلت وأنا أسحبه من ذراعي برفق لنمشي معا"[٣].

ويسهم الوصف عن طريق الفعل في إظهار الانتقال من مكان إلى آخر، يقول الكاتب: "حملت ملابسي التي صارت أكثر بعد جولة في السوق، والتحقت بالقافلة غرب المدينة، غادرت إلى باليرمو على صهوة حصان لأول مرة في حياتي له ظهر عريض، وأرجل قوية وسرج مريح، وحملتْ البغال التي في ذات القافلة متاعي"[٤].

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٨.

(٣) المصدر السابق ، ص١٣٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢١٦.

ويصف الكاتب فعل الانتقال، فيقول:" حلق القدح طويلا في فضاء الغرفة قبل أن يحط على قفاى أخيرا شيئا في طيرنها لمقوس جعلني أشعر أنها طائر مفترس لا يكفي أن أتفاداه لأنه سينحرف ويلاحقني من جديد ولذلك أوليته ظهري محولا الفرار مثل أرنب مذعور فوجد القدح مستقره المريح في قفاى"(١).

" هل تظن البابا أي بابا كان يجبر مسيحيا على العمل تحت إمرة كافر؟

بدت لي عبارته الأخيرة مثل قنديل اشتعل فجأة في حجرة حالكة السواد، توقفت عن المشي واتجهت جهته وقبضت بده على كتفيه ونظرت في وجهه مباشرة وبقيت صامتا فابتسم سعيدا بما نبهني إليه(٢). يبدو وصف الأفعال مشهدا متباعد الألوان الصور الجزئية لتكون صورة متكاملة.

ثالثا: الوصف عن طريق الرؤية

ويقوم هذا النمط على تتبع حركة الواصف، وحاله بالنسبة للموصوف، يقول: "فكرت أن الأعين الزقاء تجيد إخفاء الحزن، فعيناه كما رأيتهما أول مرة: قطعتان من الثلج مثبتتان في محجرهما، ولكن بدا أنهما مثبتتان بالبحر منذ تكرت السفينة وظل يحدث إلى المرفأ الذي غادرناه حتى اختفى في الأفق"(٣).

ورد هذا اللون السردي والفعل الوصفي كثيرا في الرواية؛ لاعتمادها على التحولات الكثيرة، وهذا يتوافق مع طبيعة الرواية التاريخية، حيث تتنوع فيها الأمكنة والأزمنة، مما يرفع عنها الرتابة والتوقع والسرد المتتابع، ويكثر فيها أفعال الدهشة والمستقبل، وهذه براعة في الكاتب: "دار في مخيلتي عشرات الأحوال التي يمكن أن ألتقي بها السلطان، ما سأقول له؟ وماذا سيقول لي؟ أينا أشد عتبا على الآخر؟ يا ترى؟ هو الذي تركته دونه إذنه وخلفته دون ترجمان،

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ، ص٣٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص١١٦.

وهو على سفر، أم الذي أساء معاملتي عندما عذبني الفرسان في رودس فلم يدافع عني؟ والآن يخطفني من سرقوسة بحجة أني عبد آبق؟!!"[١].

ويتتابع الوصف في قوله: "ابتسم عندما سمع إجابتي الفرنسية وربت على كتفي وكأني قمت بعمل جليل، بدت أسنانه صغيرة ومنتظمة، وشفتاه صغيرتين ذات لون ليس ببعيد عن لون بشتره البيضاء حتى لا ترى بسهولة ذلك الخط الذي تبدأ منه الشفة في وجه الحليق بعناية. أنفه دقيق وطويل مثل سيف مع احمرار طفيف حوالي منخريه، أما عيناه فزرقاوان كما لم أر زرقة كهذه من قبل"[٢].

ويسجل الكاتب رؤيته في التحول والانتقال قائلا: "مرت الأيام الأربعة عندما قسم سيمون ثرثرته على أهل السفينة ولم يقصرها عليَّ. ظل البحر هادئا، والنسيم عليلا والخبز الذي جلبناه معنا طازجا على ظهر السفينة، وفي طرفه الأخير، موقدٌ من حديد محاط بصفيح وافق رابان المركب أتن نوقد فيه نارا صغيرة نشوي عليه السمك الذي نصطاده، وفي صباح اليوم الخامس استيقظت من النوم على صرخ الحجاج عندما تراءت لهم أرض كنعان. اصطفوا شطر اليابسة وركعوا جميعا واختلطت الصلوات بالبكاء لقرب وصوله إلى أرض الرب، وصلى سيمون معهم رغم أنه يقيم في هذا الجزء من العالم طوال عمره ولم يحج قط"[٣].

وبعد فترة وجيزة لجأ "فرسان الهيكل" إلى جرما وأجبروه على العمل من أجل إقناع جم الذي لم يتجاوز عمره حينها ٢٥ سنة، بترك رودس والتوجه إلى فرنسا بدعوى أنه سيكون هناك آمناً أكثر على حياته ريثما تسنح فرصة عودته إلى الأناضول ليزيح أخاه من الحكم. جم الذي يعتبر نفسه السلطان الشرعي، أي خليفة المسلمين، سرعان ما انتبه إلى أنه بات مجرد "سلطان مسلم واقع في أسر فرسان مسيحيين"، بحسب راوي العمل.

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص٩٠.

(٣) المصدر السابق ، ص٧٣.

ينتقل جرما إلى الفاتيكان وبفخر "جرما"، بأنه من السريان الذين هم "المسيحيون الأوائل الذين تكلم الرب مثل كلامهم وكان منهم"(١).

ويقيم الكاتب حوارا بين "جرما" وبين قسيس الكنيسة حيث يدافع عما دار بخلد "جرما" لا تسئ فهمي يا بني، أنا لست ضد كنيستكم بل إني احترم تقاليدها وأحترم كفاحكم في المشرق وأنتم محاطون بأعداء الملة من كل جانب"(٢).

ولا شك أن الزمن ركيزة أساسية في السرد وله معان جمة، والكاتب يركز كثيرا عليه، فهو له فاعل في الوصف: "قبيل الغروب أقام الربان مأدبة للسلطان حشروا في قمرته الضيقة طاولة طعام تسع ستة أشخاص جلس السلطان في طرفها وإلى جواره نصوح باشا بينما أنا خلفه"(٣).

"استيقظت صباحا وما زال في فمي مرارة فكار الليلة الماضية مشيت نحو المطبخ، وتناولت قطعة الخبز والجرز والدراق المجفف وصعدت إلى سطح السفينة أبحث عن مكان هادئ أتناول فيه إفطاري بلا إزعاج، ولكن الإزعاج جاء وحده على هيئة مراد الذي لمحني وقصدني كالعادة"(٤).

الكاتب اختار وقت الصباح، وبنى عليه هدفه حيث الهدوء والراحة والدعة، وهو يبحث عن السكينة وأنَّى له ذلك؟

الوصف الاستطرادي، وفيه يعتمد الكاتب على رؤية الأشياء من عدة جوانب بصورة طردية متتبعا الجزيئات الكاملة ، وفيه توكل الرؤية إلى شخصية مشاركة في الأحداث، تيسّر الانتقال من السرد إلى الوصف، وإيهاما بواقعية الموصوف والمروي"(٥).

وتبدو براعة الكاتب في تحويل نسق الأشياء والأجزاء والصفات إلى صور مجسمة تكون مشهدا مكتملا، أو نظرا بديعا أو لوحة جاذبة.

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص١٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص١١٩.

(٤) المصدر السابق، ص٣٠٥.

(٥) الوصف في النص السردي: بين النظرية والإجراء، د. محمد العمامي، ص٨٨.

المبحث الثالث: وظائف الوصف

يعد الوصف عنصرا رئيسا في العمل الروائي، لما له من عدة وظائف، وتبرز براعة الكاتب في القدرة على استثماراها بدافع التفسير أو البيان أو التأثير، أو إكساب العمل الإبداعي المشاركة والنمو، وهو وسيلة في حركة الأحداث، وإعطاء مساحة كافية لتفعيل دور الشخصيات.

كما يعد الوصف عنصرا مهما في العمل الروائي من حيث التنظيم في البناء، ودفع عجلته إلى الأمام، حيث ينقل الأحداث بشكل متفاعل، وهي وظيفة مرتبطة بكل وصف له علاقة بسير الأحداث ونموها(١).

والوصف كما يقول فليب هامون: له غايات عدة، ومنها الاتمام، والتعليم، والدلالة، والتوثيق، والتصنيف، والتنبيه، والتفسير، فضلا عن النفع الذي يكسو العمل الأدبي بالنفع داخل النص وخارجه(٢)، كما أن الوصف هو المكان الذي يكشف فيه الأدب عن نفسه حيث يخلق واقعا جديدا، ومرتبة جديدة للشيء الواقعي الذي يتأكد في إطار حقله الجمالي الخاص(٣).

وتتنوع وظائف الوصف بحسب طبيعة اللون الأدبي، ويختلف تأثيره من خلال اندماجه في الخطاب، وتتعانق الوظائف او تنفرد بحسب قدرة الأدب وتمكنه من إبداعه.

ويمكن تحديد الوظائف من خلال النظر إلى السياق النصي، وتحديد أبعاده، وخصائصه وعلاقاته بمكونات النص(٤).

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٩٠.

(٢) ينظر: في الوصفي، فيليب هامون، تعريب سعاد التريكي، ص٧٥.

(٣) نظرية اللغة الأدبية، خوسيه ماريا، بوثويلو إيفانكوسس، ترجمة د. حامد أبو أحمد، دار غريب القاهرة، ط١، د.ت، ص٢٨٢.

(٤) ينظر: في الوصفي، فيليب هامون، تعريب سعاد التريكي، ص٢٤٠-٢٤٢.

أولا: الوظيفة التبيينية أو التفسيرية

تقوم هذه الوظيفة بالترميز على الكشف عن مظاهر الحياة في البيئة الداخلية والخارجية، والسمات الشخصية الحسية والمعنوية، ودورها في العمل الإبداعي.

وقد فرضت هذه الوظيفة نفسها على الأعمال الرواية والقصصية؛ لما يتسمان به من طبيعة التفسير والرمز، فالصور ترسم شكل الشخصيات، وتصف ملابسهم وأدوات وأثاث بيوتهم، وتكشف عن تركيبهم النفسي، وتبرره أيضا، فهي رمز وسبب كما أنها نتيجة كذلك(١).

نرى الكاتب يركز على البناء النفسي لدى الشخصيات، وكأنه يقوم بوظيفة التحليل الداخلي للشخصيات من أجل إرسال بعض المعاني الرمزية، حتى يكون القارئ على دراية بالمغزى الذي يسعي لبيانه، ومن ذلك قوله: "بدا لورينكو متجنبا كلامي، واختلطت في وجهه ملامح إنكار ودهشة، أسند ظهره على الجدار، واستحثني على المزيد من الكلام بنظراته، وظل فمه ذي الأسنان السفاية المتباعدة مفتوحا، وقد اختفت الأسنان السفلية المتباعدة مفتوحا وقد احتفت أسنانه العلوية تحت شفته الغليظة وشاربه الكثيف"(٢).

الشاهد يجسد الصفات الجسدية التي تدل على القسوة في التعامل، فضلا عن الجوانب النفسية، وهذا توضيح للمزاج والأثر النفسي الذي ينتقل بشكل مباشر للقارئ: "تغيرت ملامح القائد من الاندهاش إلى الانزعاج وأنا أترجم له كلام السلطان بصوت مرتفع يشبه صوت السلطان، رغم مخالفة ذلك لعادتي في ترجمة كلامه، ولكن قلبي يخفق بحماسة، وأكاد ألوح بيدي كالمنتصرين في معركة.

---

(١) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٨م، ص١٤٢.

(٢) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص١٨٣.

-لا، أيها السلطان نحن نعرف جيدًا ماذا تعني هذه الكلمة. إن كان الأكل شيئا أو النبيذ قليلا، فهذا لا يستحق أن تغضب لهذا الحد"[١].

كما أسهم وصف المكان بتفصيلات مختلفة كالمساحة وتقنيات المعاني التي يقصدها الكاتب، فالمكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه، حيث يعكس حقيقة الشخصية، فضلا عن طبيعة المكان الذي يرتبط به، وهو يشير إلى الطبقة الاجتماعية[٢].

ووصف الأشياء يكشف الجوانب النفسية هو الآخر، وهو انعكاس طبيعي، للون والأشكال والوظائف المهمة، ومن ذلك قوله: "توقفنا عند ثكنة من ثكنات الفرسان تتوزع فيها مجموعة من الأكواخ الخشبية التي سرعان ما توزعنا فيها، لم يوصدوا على حجرتي هذه المرة ولكن بابها على أي حال يفضي إلى حجرة أخرى ينام فيها فارسان، وشبكها معلق في السقف لا قدرة لي على بلوغه وإذا بلغته لا قدرة لي على النفاذ منه"[٣].

وقد يركز الكاتب على التفسير لتوضيح جوانب مهمة، موضحا الأسباب والدواعي من وراء التفسير، ويتداخل التفسير مع التعليل والحجج، ما صناع حوار متداخل بين جرمانوس والقسيس: "ما رأيك لو تزوجت يا أبانا؟

ضحك القسيس ضحكة مفاجئة وكأنه لم يكن مستعدا لهذا السؤال وقال:

يا له من قرار! حياتك تتغير بسرعة كبيرة يا جرمانوس.

صحيح، ولكن العمر يجري سريعا أيضا.

لا بأس. عمرك مناسب. لم تتأخر كثيرا.

ساد الصمت قليلا وهو ينظر إلى الأرض ثم قال:

وهل تفكر في امرأة ما؟

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص ٣٠٨.

(٢) ينظر: بناء الرواية، د. سيزا قاسم، ص٨٤-٨٥.

(٣) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص٢٦٨.

لا، لا أعرف أحدا. ربما عليك أن تساعدني في ذلك

أتعني أن أبحث لك عن زوجة؟

أجل. بالتأكيد أنك تعرف الكثير من العوائل المحترمة في صقلية.

ضحك بحبور وخجل ثم حك رأسه وكأنه يتذكر شيئا وقال:

أتعلم يا جرمانوس؟ قبل سنوات عديدة مر بكنيستنا حاج ألماني في طريقه إلى الأراضي المقدسة وأقام هنا بضعة أيام مع رفاقه.

نام بعضهم في المكان نفسه الذي تنام فيه الآن، وفي إحدى المرات كنا نتكلم عن الرهبة والزواج إذ كان بعضهم يفكر فيهما بعد عودته من الحج. فقال له ما بقيت أذكره حتى الآن رغم السنين:" ثلاثة أمور أيها السادة في حياة الإنسان لا ينبغي له أن يقبل فيها نصيحة من أحد أيا كان: الزواج والحرب والحج. أتعلمون لماذا؟

وضحك مرة أخرى قبل أن يستأنف كلامه:

لقد قال: لأنها أشياء قد ترديكم مرضى، وعندها يكون ناصحكم مسئولا عم مرضكم"

ثم التفات إليَّ وقال:

وأنا لا أريد أن أكون مسؤولا عن مرضك يا عزيزي جرمانوس!"[١].

ويقول الكاتب:" مد الحارس يده ليغلق الباب، نمتُ لمام وكأني داخل ناقوس يفزعني كل ساعة، وفي الصباح، مد حارس آخر يده ليغلق الباب بعد أن أمره السلطان بذلك، وأصبحت واقفا مع السلطان في إحدى حجراته الداخلية ولا أحد فيها سوانا. رحت أدور ببصري في أرجاء الغرفة وكأني أتأكد من خلوها من حارس أو خادم، ثم نظرت إلى السلطان فإذا هو ينظر ببروده المعتاد وعينيه الزرقاوين مثل قطعتي ثلج. أنفه المستدق ولحيته المدببة"[٢].

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص٢٠٦.

(٢) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص١٦١.

لقد أسهم الوصف بتفريعاته في دفع عجلة نمو الأحداث، وتطويرها حتى تصل إلى النهاية، فليست الأوصاف مطلوبة في حد ذاتها، ساعدت على التطور والانتقال من عالم الواقع إلى عالم الفن.

وقد يدل الوصف على براعة الكاتب في توظيفه حيث يمسك بتلابيب المعنى، ويغري القارئ بمتابعة ما يريد بأرحية، مستخدما تطوير لغة العاطف في نمو الأحداث: "رغم أني أكبر من السلطان بسنوات إلا أني شعرت برغبة عارمة في البكاء كطفل صار في كنف أبيه وراح يستدر عطفه وشفقته، أجشت وغطيت بإحدى يدي وجهي ورحت بيدي الأخرى أنزع سروالي ليرى آثار السياط على أفخاذي، ونحت الحذاء ليرى أظافر قدمي المتورمة، وفوق كل منها كتلة مزرقة من الدماء المتجمدة نظر السلطان إلى جسدي باشمئزاز ثم عقد حاجبيه وبدا غاضبا

تخيلته يثور ثورة عارمة على فرسان الهيكل ويطلب لقاء القائد فورا، تخته يطلب بحقي وينافح من أجله ويرد لي اعتباري وتخيلت جلادي يركع بين يديّ طالبا الصفح فيأمر السلطان بجلده قصاصا لي تخيلت كل هذا قبل أن يكرر السلطان سؤاله:

من فعل بك هذا؟

فرسان الهيكل

متى؟

البارحة. دوال الليل كنت سجينا لديهم

ولماذا ذهبت إلى هناك؟

هم استدعوني.

ولماذا استدعوك؟ وكيف تذهب دون إذني؟

أطرقت صمت ولم أجب"(١).

النص السابق يقوم عل البوح والتفسير، والدلالات الضمنية.

ثانيا: الوظيفة الإخبارية

يبدو في تتبع السارد لتعليمات الكنيسة الدينية الجانب الاجتماعي، وطبيعة بناء الأسرة، والزواج والطلاق، وهنا يقيم السارد حوارا داخليا مستخدما الأفعال المستقبلية، مع التفصيل في أفعال الدهشة: "لقد أصبحت من أتباع الكنيسة الغربية الآن وسيصبح الطلاق مستحيلا، وما يجمعه الرب لا يفرقه الإنسان، يبدو أن الأمر سيكون أصعب مما تخيلت، وعلىَّ أن أتمهل في هذا القرار، ولم العجلة؟ لم يمض سوى أشهر فقط منذ وصولي إلى صقلية. سأمهل نفسي عاما حتى أجد المرأة التي لا مثيل لها، ولا تصلح إلا إلي. لقد خلق الرب امرأة ما وهي موجودة لا تلبث أن يلقيها في طريقي.

فوجئت أن القسيس يراقبني، وقعت عيني عليه فور خروج المصلى الأخير من الكنسية، ابتسم كمن يقرأ أفكاري في كتاب مفتوح، ابتسمت إليه في المقابل ببعض الحرج"(٢).

ويعمل الكاتب على بيان الجوانب الخفية في الزوايا البعيدة: "الغرفة مستديرة. الرجل الذي يجلس في وسطها تحت النافذة تماما هو السلطان جم ولا ريب، ولكن بحال لم أره عليها منذ عرفته. ليس بوسعي أن أرى فيه سمنة وهو يرتدي ملابسه المنتفخة ولكن وجنتاه تفيضان حمرة وسمنة. طال شارباه من الجانبين نزولا حتى ذقنه فبدا فمه صغيرا وملامحه مختلفة. ارتسمت تحت عينيه هالتان سوداوان وبدا خاتمه الضخم ضيقا محشورا في إصبعه السمينة يكاد يقفز من مكانه"(٣).

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص١٦٢.

(٢) المصدر السابق ، ص١١٦

(٣) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص٢٨١.

ويميل الكاتب إلى استقصاء جوانب الوصف، والتركيز على الجوانب الخفية، كما في قوله:" خرجت مع السلطان عائدين إلى مقر السكن، ظل ساهما حتى إنه يتأخر عني بعض الشيء فأتقدم في مشي قبل أتدارك ذلك أعود إلى موازناته. جلس قريبا من الشرفة التي تتصدر مقر سكنه الثاني الذي نُقلنا إليه بعد سقوط غرناطة مباشرة إمعانا في التحصن ورغم برودة الجو فته فمه للهواء البارد وحرر حزام عباءته ليهب الهواء داخلها فينفخها. بم يفكر السلطان؟ أن يطير؟"(١).

وتظهر براعة الكاتب في تداخل الأشياء حتى سمح لنفسه الحكم، وتتبع صحة حكمه:"وأنا آوي إلى فراشي ليلا ركنت إلى فكرة أن السلطان ضحية غبائه منذ البداية.الغباء الذي جعله يغتر بولاء بعض قبائل الأناضول ليطالب بالسلطنة، والغباء الذي جعله يفر من أخيه إلى خصوم السلطنة في مصر، والغباء الذي جعله يسلم نفسا طوعا إلى الفرسان، والغباء الذي جعله يهذي بخطة هروبه إلى المجر لجاسوسه دسوها في فراشه، لقد خلقه الله غبيا وهو يتصرف كما خلقه الله"(٢).

ثالثا: الوظيفة التزيينية أو التجميلية

يرتبط الجانب الجمالي بما يضفيه الكاتب عل نصه من عناصر التجميل والتحسين، فيجذب القارئ لمتابعة النص، ويضفي عليه جوانب تأثيرية، ولا يقتصر التزيين على التحسين فقط بل يقوم بإثراء المعني، و"الوصف هو تزيين الخطاب، ولا ينبغي أن يكون لب الأثر"(٣).

وقد يبدو للوهلة الأولى ارتباط الخيال والتصوير بالشعر فقط، وهذا غير صحيح، فالرواية تعتمد على التصوير والتجميل بصورة فاعلة، والناظر في رواية

---

(١) المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠٣.

(٣) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٨م، ص١٤٢.

"جرما الترجمان" يلحظ أن الكاتب اعتمد بصور كثيرة على الوسائل التصويرية بأشكال مختلفة.

فترى الكاتب يكثر من استخدام التشبيهات والاستعارات والمحسنات البديعية؛ لتقريب المعاني للقارئ، أو لإعمال فكره للبحث عن مكونات الصورة وأبعادها الدلالية: "عدت إلى خيمة السلطان لأجده قد لبس ملابس الصيد، وظل واقفا أمام باب الخيمة نافذ الصبر، حثتني نظراته أن أبدأ في الكلام فور وصولي إلى مسافة تتيح له سماع كلامي ولكني مشيت على مهل حتى وقفت أمامه ورفعت رأسي وقلت:

-يقول البران إن النابوليين والبنادقة سيحاولون خطفك وتقديمك لبايزيد مقابل تحالفه معهم في حربهم ضد بعضهم.

فقط؟

نعم

مكثت كل هذا الوقت في خيمتهم وهذا ما أخبروك به فقط؟

أطرقت ولم أجب فجبذ ياقة ثوبي وقال بنبرة غضب وبالعربية التي لا يتقنها سوانا:

هل تخفي عني شيئا؟

لا يا مولاي. لقد كانوا يتهامسون بعضهم مع بعض، وهذا ما استغرقهم وقتا.

يتهامسون! ولما لا تخبرني أنهم يتهامسون؟

لأني لم أسمع همسهم يا مولاي.

ولكنك رايته! ألا يكفي ؟ ألا تشعر أن الأمر مهم بما يكفي لأن تخبرني به؟

أعتذر لك يا مولاي!

أنت لست ترجمانا فقط. أنت عيني. أذني. لساني؟ أتفهم؟

ثم دفعني بيده في صدري فتراجعت إلى الوراء. ثم في اللحظة لم أعد أتمالك نفسي. تراجعت خطوتين أخرين. وكأني ثورٌ يستعد لهجوم قم قلت بنبرة الغضب المكتوم نفسها التي خاطبني بها وبالعربية: إذا كنت عينك وأذنك ولسانك فلماذا تركتهم يعذبونني كل هذا العذاب؟ ولماذا لم تأخذ بحقي منهم أيها السلطان؟"[١].

الكاتب استطاع أن يوظف التشبيه ببراعة، ولم يعمد إليه، بل طلبه المعنى في صناعة حوار فاعل بين جرما، والسلطان.

كما يضفي الوصف على النص جمالا، ويكسب الأوصاف دلالات جديدة لا يقوم بها سواه، فنراه يقول: "لا أعرف ماذا أقول لأخفف عنك يا صديقي. أنت لم تكتمل عاما واحدا في حاشية السلطان. أنا أعرفه منذ كان صوته رقيقا مثل ناي صغير الثقوب"[٢].

ومن رسائله التجميلية التي تحمل كل معاني الوفاء للسلطان: "السلطان المجيد "جم" مع مقدار لا يمكن تمثيله من المودة الخالصة لك، فقد كان لنا شرف عظيم أن أتحت لنا رغباتكم، وسيكون لنا أضعاف هذا الشرف إذا أنت سمحت لنا أن نلبي طلباتكم"[٣].

وامتدادا لهذا المعنى ورد بكثرة في الرواية، قوله: "إن مملكتنا في رودس لها شأن عظيم إذا وطأتها حوافز خيلكم بعيدا من أولئك الذين يبحثون عن اقتناص روحكم من الظالمين، أمثال: أخيكم، لقد ضاعت روائح سمعتكم حتى بلغت جزيرتنا، وصارت رغبتي في صداقتكم وخدمتكم أكبر من البحار والبلاد التي ستقطها في طريقكم إلينا، ومن أجل الله ولك سوف نكون في غاية السعادة إذا رست سفينتكم في منائنا بسلام. صديكم المخلص لك .بيير ديبواسون"[٤].

---

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، ص١٧٥-١٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص٩٢.

(٤) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص٩٣.

ويقوم الكاتب بتسجيل الرد على هذه الرسالة بلغة أكثر غضبا وحدة: "لأنك الأخ الأقسى، والأفظع على وجه الأرض، ها أنا أخرج من ديار آبائي وأجدادي وأرمي بنفسي بين يدي المسحيين، لأنك بلا قلب وبلا رحمة، وبلا أخلاق ها هاو أخوك على سفينة أدائنا الأزليين، أعداء الدين، وأعداء الأمة، وأعداء بني عثمان، أنا مجبر على ذلك في مجه كل المحاولات

والكاتب يوظف اللحظات الفارقة: "فكرت أن الأعين الزرقاء تجيد إخفاء الحزن، فعيناه كما رأيتهما أول مرة، قطعتان من الثلج مثبتتان في محجريهما، ولكن بدا أنهما اتصلتا بالبحر منذ تحركت السفينة وظل يحدق إلى المرفأ الذي غادرناه حتى اختفى في الأفق"(١).

الوصف يقوم على التشبيه، وعقد المقارنة الحسين بين الطرفين، ولكنه يطوي الكثير من دلالات الألم والفراق، وقد جسد التفصيل دلالات كثيرة لا تقوم إلا به.

ونلحظ المقارنة وفعل الدهشة في قوله: "الرجل الذي يجلس في وسطها تحت النافذة تمام هو السلطان جم ولا ريب، ولكن بحال لم أره عليها منذ عرفته، ليس بوسعي أن أرى فيه سمنة وهو يرتدي ملابس المنتفخة ولكن وجنتاه تفيضان حمرة وسمنة، طال شارباه من الجانبين نزولا حتى ذقنه فبدا فمه صعيرا وملامحه مختلفة. ارتسمت تحت عينيه هالتان سوداوان وبدا خاتمه الضخم ضيقا محشورا في إصبعه السمينة يكاد يقفز من مكانه"(٢).

ونلحظ براعة الكاتب في تحويل نسق الأشياء والأجزاء والصفات إلى صور محسوسة، التي تكون مشهدا متكامل الأركان، وكأنها مشهد سينمائي يجسد على خشبة المسرح: "في القافلة بضع عشرات الرجال يحملون فوق رؤوسهم أواني مختلفة الأشكال كلها مليئة بماء السمرمر هذا يحمله في إبريق وهذا في طست

(١) المصدر السابق ، ص١١٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨١.

وأغلبهم في قرب من الجلد، ولما اقتربوا من وسط المدينة حمل فارسان إناء فوق رمحيهما وفعاه عاليا"[١]. ونلحظ براعة الكاتب في تصوير المشهد بكل جوانب، ورغم قيامه على التحسين إلا إنه يحمل وراءه الكبير من المعاني حيث يجسد الطقوس المعروفة.

لجأ الكاتب إلى الوصف المتتابع للزمان، وكشف عن دوره في السرد: "ثقيلة روما، كأنها وتد هائل يحفظ اتزان الأرض، الجدران أسمك، والأرض أقسى، والناس كذلك، والظروف التي وصلنا فيها لم تكن أفضل ظروف يمكن أن يصل فيها ثلة أسرى إلى المدينة"[٢]. يجسد النص السابق الدلالات النفسية والمشاعر الإنسانية، واسترجاع الماضي أملا في رجائه.

ومن الأوصاف التجميلية في الرواية، والتي كان وسيلة للتعبير عن المعاني النفسية، ما قاله الكاتب: "في الطريق إلى البيت ثقبتني كلمات طونيوس مثل المسامير. لم أعرف أ أبي اقتات على الصدقات طوال هذه السنوات، وهذا يجمع في قلبي خليطا من الشفقة والحنق في آن، لماذا لم يخبرني؟ لماذا يعتمد علي؟ لماذا لا يثق بي؟ لماذا يدعي هذه الصلابة الزائفة دائما؟"[٣]. تزاحم الأسئلة في النص السابق يحمل الكثير من الدلالات النفسية، والجراح حيث كان الابن ضحية رغبات والده في جمع المال، والاعتماد عليه دون شكر، مما جعل الابن يتألم من صنيعه.

(١) جرما الترجمان، محمد حسن علوان ، ص٨١.

(٢) المصدر السابق ، ص٣١٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢١٨.

الخاتمة:

بعد هذه المعايشة للوصف في رواية "جرما الترجمان" لمحمد حسن علوان، وقفت على عدة نتائج، ومنها:

- اعتمد الكاتب على أسلوب التشويق، والإجمال ثم التفصيل، فضلا عن الحوار الداخلي "المونولوج"، أو الاسترجاع ليفسر الأحداث التي مضت، أو يهيئ للأحداث القادمة، وقد يعطي الوصف دلالات مينة حول الشخصية الأساسية أو الرئيسة.
- تركز أوصاف الرواية على الأفعال والأحداث، وهذا ما يتناسب مع طبيعة الرواية التاريخية، وأفعال الحركة حيث الانتقال والتحول بشكل مستمر.
- كشف الأوصاف المتنوعة في الرواية عن كثير من الإيحاءات والدلالات الضمنية، وإن استعانت باللغة الجمالية والتحسينية.
- نجح الكاتب في امتلاك الدلالة الحقيقية لروايته، فجسدت الصراع بأبعاده المختلفة، وشرح التفصيلات الجانبية مع اكتسائها بالخيال والتصوير؛ حتى لا يقف القارئ على المعنى إلا بعد تأمل وطول نظر، والبحث عن الدلالات الخفية.
- أكد البحث على أهمية الوصف في الرواية، وقد وظفه الكاتب في الرواية، لإيصال المقاصد، والعمل على نموه الرواية ودلالاتها بصورة غير مباشرة.
- ركز الكاتب على بيان الجانب النفسية لبعض الشخصيات، وحديث النفس، وكأنه يريد مشاركة القارئ في الإحساس بدور الشخصيات وبعض أدوراها، ولذلك روح المغامرة، والاستدراج معا في الموقف الواحد.
- نجح الكاتب في الربط بين العنوان والمتن، فتكون العنوان من الاسم والوظيفة "جرما الترجمان"، وتكثيف الدلالات المتنوعة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- جرما الترجمان، محمد حسن علوان، تشكيل للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٢٠م.

المراجع:

- بناء الرواية، د. سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية، هيفاء الفريح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م.
- طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت وآخرون، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢م.
- علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة، د. الصادق قسومة، سلسلة الرسائل الجامعية، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام، الرياض، ٢٠٠٩م.
- في الوصفي، فيليب هامون، تعريب سعاد التريكي، بيت الحكمة، قرطاج، ط١، ٢٠٠٣م.
- في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
- معجم السرديات، د. محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.
- المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب د. ميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٨م.
- نظرية اللغة الأدبية، خوسيه ماريا، بوثويلو إيفانكوسس، ترجمة، د. حامد أبو أحمد، دار غريب القاهرة، ط١، د،ت.
- الوصف في النص السردي: بين النظرية والإجراء، د. محمد العمامي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.
- الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، د. نداء أحمد مشعل، وزارة الثقافة، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٣٤٤
٢-	Abstract	٤٣٤٥
٣-	المقدمـة:	٤٣٤٦
٤-	موجز الرواية:	٤٣٥١
٥-	المبحث الأول: الوصف في العمل الروائي	٤٣٥٣
٦-	المبحث الثاني: أنماط الوصف	٤٣٥٧
٧-	المبحث الثالث: وظائف الوصف	٤٣٦٢
٨-	الخاتمة:	٤٣٧٣
٩-	قائمة المصادر والمراجع:	٤٣٧٤
١٠-	فهرس الموضوعات	٤٣٧٥

تم بحمد الله